مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2572-0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد:06 العدد: 02 جـــــوان (2022) ص644/654

# المعاجم الموضوعاتية في التراث العربي في ضوء الدرس اللساني الغربي

# Thematic dictionaries in Arabic heritage in the light of Western linguistics

د، ياسين بغورة *

جامعة برج بوعريريج، الجزائر

Yacine.baghora@univ-bba.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:2022/01/30
تاريخ القبول:.../..../2021

**الكلمات المفتاحية:**
- ✓ المعجمية،
- ✓ الموضوعاتية،
- ✓ الدرس،
- ✓ اللساني

الملخص:

اهتم العرب بلغتهم اهتماما خاصـــا، محاولين المحافظة عليها، فكان لزاما عليهم إعطاء عناية ومكانة خاصـــة للمعاجم التي بدورها تعتبر خزانا لكل لغة للمحافظة على هويتها واســتمراريتها، فتنوعت معاجم اللغة بين معاجم الألفاظ ومعاجم الموضــوعات التي هي موضــوع دراســتنا هذه، نظرا للإسهامات العميقة التي أضافتها لتراثنا اللغوي، فالتصنيف الموضوعي مر بعديد المراحل عرف من خلالها أنواعا عدة من التبويب والتأليف، وهذا الإطار النظري والتطبيقي في التصـنيف في تراثنا العربي، أسس المعجمية اللغوية عند الدرس اللساني الحديث، والتي شكلت مداخل هامة للدرس اللساني التطبيقي في مستواه الدلالي.

*Article info*

*Received 30./01/2022*
*Accepted …./…./2021*

**Keywords:**
- ✓ *Lexicography,*
- ✓ *thematic,*
- ✓ *lesson,*
- ✓ *linguistic.*

*Abstract :*

***Abstrat** :The Arabas paid particular attention aiming to preserve their language through giving all the interest to dictionaries considered a reservoir for each language to preserve its identity and continuity. Therefore, language dictionaries vary between word dictionaries and thematic dictionaries, which are the subject of our study, because of the far-reaching contributions they have made to our linguistic heritage. Thematic classification has gone through many stages through which several types of tabulation and composition have been experienced. This theoretical and practical framework in classification in our Arabic*

* المؤلف المرسل.

| | |
|---|---|
| *heritage founded the linguistic lexicography of modern linguistics, which constituted important inputs to applied linguistics at the semantic level.* | |

**تمهيد:**

ارتبط العرب ارتباطا وثيقا بلغتهم و أعجبوا بها إعجابا جعلها موضع فخرهم ومباهاتهم، والتاريخ الأدبي يثبت ذلك، من اهتمام بالغ بالشعر وظهور الأسواق الشعرية، ودعم ذلك الافتخار نزول القرآن الكريم على رسولنا "قرآنا عربيا" تحدى البلغاء،

وقد تناول العرب لغتهم بالدراسة من فجر حضارتهم، فرويت عن الرسول والصحابة الأقوال والأحكام، ونسب إلى بعض الصحابة والتابعين كتب في نواح خاصة، ثم انتشرت وازدهرت هذه الدراسات اللغوية، والجدير بالذكر أن القرآن الكريم عند نزوله بلغة العرب وعلى مقتضى أساليبهم، فهمه العرب على الوجه الصحيح، وأدركوا إعجازه بالقياس إلى قدرتهم البيانية الفائقة، ولم يشعروا حينها بحاجة ماسة إلى العودة والرجوع إلى مصدر يفسر لهم ما يقرؤون أو يسمعون من آيات الذكر الحكيم، إلا ما كان النبي (ص) يبينه ويوضحه ويفسره، إلا أن تعدد القبائل العربية ووجود ألفاظ تختص بها قبائل دون أخرى، دعت أحيانا إلى السؤال عن بعض المعاني، إضافة إلى اتساع رقعة الدولة الإسلامية بسبب الفتوح أدّى إلى الاختلاط والسؤال عن معاني بعض الألفاظ الموجودة في القرآن الكريم وقد نتج عن اختلاط العرب بغيرهم، والتقائهم و إخوتهم في ظل الإسلام الحنيف وجود ظاهرة اللحن الذي انتشر وهدد كبار العرب وفصحائهم، فهذه الظروف أدت لبداية التأريخ للمعجم العربي، عن طريق جمع اللغة وتدوين رسائل لغوية وتنوعت هذه المعاجم بين معاجم الألفاظ ومعاجم الموضوعات هذه الأخيرة التي خصصناها بالبحث في موضوعنا هذا.

فما الأثر الذي تركه البحث المعجمي العربي في الدرس اللساني الحديث؟ وهل يمكن اعتبار البحوث المعجمية العربية امتدادا للدرس االلساني الغربي؟

كثيرا ما تتقاطع البحوث التراثية اللغوية العربية مع الدرس اللساني الغربي، وما توصلت إليه النظريات اللسانية الغربية، بحكم أن موضوعات اللغة متشابهة ومتشابكة نظرا للخصائص العامة التي تميز اللغة باعتبارها أداة للتواصل بين مختلف الشعوب، فقد تلتقي مجالات البحث في بعض الزوايا وتختلف في بعض التفاصيل بسبب خصوصية كل لغة.

الحاجة إلى المحافظة على اللغة واستمراريتها وحمايتها من اللحن والزوال، عجل بميلاد معاجم اللغة التي عرفت مراحل عدة من التبويب والتنسيق والتأليف .

إضافة إلى محاولة معرفة القيمة العلمية والمعرفية للمعاجم في المحافظة على اللغة، فهي بذلك تؤسس لمرحلة هامة من مراحل الاهتمام باللغة وهي أن العرب طرحوا دراسات معجمية حاولت تقديم نظرية حديثة في مجال البحث اللساني التطبيقي، سواء على مستوى علم المعاجم أو علم صناعة المعاجم، خاصة إذا تحققنا من أن التصنيف المعجمي كانت بواعثه كتاب الله الذي كان له الأثر في تنظيم النظرية المعجمية.

والبحث في هذه الزوايا اللغوية يقتضي بعض الآليات الوصفية التحليلية التي تتناسب مع العرض والتحليل.

**1- المعاجم الموضوعاتية في التراث العربي :**

إن الاهتمام البالغ الذي أولاه العرب بلغتهم، أدى بهم إلى محاولة الاحتفاظ بها، فأعطوْا عناية خاصّة بالمعاجم وطرق ترتيبها وتبويبها، وذكر أحمد مختار عمر، أنّ العرب كانوا منطقيين حينما لاحظوا جانبي الكلمة وهما ( اللفظ والمعنى) فرتّبوا معاجمهم إمّا على اللفظ أو على المعنى، فَوُجد نوعان من المعاجم وهي معاجم الألفاظ ومعاجم معانٍ أو معاجم الموضوعات.(ينظر: عمر، 1971 ص 175)

وإذا أمعنّا النظر في مصطلح التصنيف الموضوعي لوجدناه يرتبط بالموضوعات ويبتعد عن الموضوعية التي هي عكس الذاتية، وبناءً على هذا فقصدنا في بحثنا هذا ربط مصطلح (موضوعي) بالتصنيف كي يُفهم أنّه ترتيب من ترتيبات المعاجم التي وضعها علماء اللغة القدامى، وهذا النوع من التصنيفات يجعل من الموضوعات أو المعاني مادة أساسية في بناء المعجم وتتخذ بهذا الدّلالة أساسًا في الترتيب، فيجمع هذا النوع من المعاجم شتى الموضوعات في كتاب واحدٍ، ككتاب الصّفات لأبي الحسن النّضر بن شميل، قال عنه ابن النديم: " كتاب الصّفات، وهو كتاب كبير، يحتوي على عدّة كتب ومنه أخذ أبو عبيد القاسم بن سلاّم كتابه ( غريب المصنف)، قال ابن الكوفي الجزء الأول يحتوي على خلق الإنسان والجود والكرم وصفات النّساء، والجزء الثاني يحتوي على الأخبية والبيوت وصفة الجبال والشّعاب، والأمتعة، والجزء الثالث للإبل فقط، والجزء الرّابع يحتوي على الغنم، الطّير، الشمس، القمر، اللّيل والنهار، الألبان، الكمأة، الآبار، الحياض، الأرشية، الدّلاء، صفة الخمر، والجزء الخامس يحتوي على الزّرع، الكرم، العنب، أسماء البقول، الأشجار، الرّياح، السّحاب، الأمطار، كتاب السّلاح، كتاب خلق الفرس".(ابن النديم، 1997ص 77)

ومن الكتب التي جمعت عدة موضوعات في كتاب واحد كتاب(الغريب المصَنف) لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ( ت 224)، والمنتخب من غريب كلام العرب لكراع النّمل (توفي310)، وفقه اللّغة لأبي منصور الثعالبي (ت 429)، والمخصّص لابن سيده (ت 458)، وغيرها من الكتب التي اهتمت بهذا الشأن، وقد عرفت اللّغة العربية هذا النوع من المعاجم منذ بداية حركة اللّغة، وذلك في صورة رسائل صغيرة، ذات اتجاهات مختلفة، أُلِّفت مبكّرة، كالرّسائل الخاصّة بالحشرات والخيل والإبل وخلق الإنسان ....إلخ.

وكان ذلك في القرن الثاني الهجري، والدّافع من هذا الاهتمام هو الخوف على اللّغة حين اختلط العربي بغيرهم وانتشر اللّحن، حتّى وصل إلى القرآن الكريم، فاهتم العرب بحفظ اللّغة العربية عن طريق تتبعها وتسجيلها من أفواه أهلها الفصحاء(ينظر: نصار، المعجم العربي، 1988، ص 28)

وكانت دوافع العلماء في ذلك دينية ولُغوية ومرّ التأليف عند العرب بثلاث مراحل هي :

**أ- المرحلة الأولى:**

تميّزت بالتأليف المختلط إذ كان العالم يرحل البادية ويُدَوِّن كلّ ما يسمعه، و السّماع والرّواية والتّدوين ثلاث طرق في نقل المعرفة لا عند العرب وحدهم بل عند كثير من الأمم، وكان العالم يجمع كلمة في المطر وكلمة في السّلاح وكلمة في النّخل والزّرع وأُخرى في الإبل وهكذا.

**ب- المرحلة الثانية :**

وهي مرحلة جمع الكلمات المتعلّقة بموضوع واحد في رسائل وكتيبات مستقلّة فألّفت في هذه المرحلة الرّسائل اللّغوية المتعلّقة بموضوع واحد، ومن الموضوعات التي حازت على السّبق في التّأليف هي الموضوعات الدينية، نظرًا لاهتمامهم وخوفهم على كتاب الله، فوُجدت رسائل في غريب القرآن والحديث، كما وجدت رسائل في خلق الإنسان، والحشرات، والخيل، والإبل، والنّوادر، البلدان، والمواضع، والأبنية، ( كالمصادر والأسماء والأفعال)، والنّحل، والعسل، والنّخل والنَبات، وغيرها من الموضوعات المستمدّة من البيئة العربية.

**ج- المرحلة الثالثة:**

وهي مرحلة جمع مواد اللّغة ذات الموضوعات المختلفة وحصرها في كتب اصطلح على تسميتها بعد ذلك بالمعجمات، ليرجع إليها كلّ من أراد البحث عن معنى كلمة، ومن الكتب التي جمعت موضوعات متعدّدة كتاب (الصّفات) للنّضر بن شميل، و( الغريب المصنَف) لأبي عبيد، و(الألفاظ) لابن السّكيت وما إلى ذلك.(ينظر:إقبال، 1993، ص126)

**2- جهود اللغويين العرب في التصنيف المعجمي:**

لابد أن نشير إلى الرسائل اللّغوية المفردة التي تمثّل بداية الاهتمام بالتصنيف الموضوعي وانطلاقة التأليف في معاجم الموضوعات، نذكر منها :

**1- كتاب الخيل لأبي عبيدة معمر بن المثنى :**

تحدّث أبو عبيدة في كتابه عن موضوعات عدّة نذكر منها:

- فضل الخيل ومكانتها عند العرب وتكريمهم لها وصيانتها وذكر الأحاديث والآثار التي تؤكّد فضلها ومكانتها.
- ما قالته العرب من أشعار حول الخيل.
- أسماء أعضاء الفرس ظاهرها وباطنها، جليلها ودقيقها.
- ما يعرض للخيل، فحولها وإناثها.
- الطّرق التي تُستدعى بها الخيل وتُزجر.
- ما يستدلّ به على جودة الفرس، كثرة ريقه، ورحب منخريه، وطموح بصره، وشدّه أذنيه.
- أسماء الخيل، وما تستحبه العرب في الخيل .
- ألوان الخيل، الدهمة، والخضرة، والصّفرة...(ينظر: أبو عبيدة، 1358 هـ، ص 120)

**2- كتاب المطر لأبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري:**

في هذا الكتاب تحدّث أبو زيد عن الموضوعات التالية:

- الأزمنة والفصول كأوّل وآخر القيظ، الصفرية، والشتاء، والدفيء، والصيف .
- أمطار السّنة وأنواؤها.
- أسماء السّحاب.
- أسماء البرق.

- أسماء الرّعد.
-أسماء الأمطار تِبعًا لحجمها أو مقدارها، و قوتها واستمرارها ووقتها وطريقة هطولها.
- الأمطار الدّائمة وأنواعها .
- النّدى ومصدره.
- الجليد والثّلج ووقتهما.
- السّيل.
- انقطاع المطر وإقلاعه.
- صحو السّماء وذهاب الغيم
- أسماء المياه.(ينظر، إقبال، 1993، ص 125)

**3- كتاب خلق الإنسان لأبي سعيد عبد الملك بن قُرَيْب الأصمعي :**

قسّم الأصمعي كتابه إلى عناوين، فالعنوان الأوّل ( ما يذكر من حمل المرأة وولادتها والمولود) وفيه الموضوعات التالية :
- حال المرأة عند الحمل ويشمل: حملها وهي تُرضع، و أيضا حملها في آخر قُرئها عند مُقبِل الحيضة.
- أوّل الحمل وأطواره وما تشتهيه في وحمها ومراحل تكوّن الجنين إلى أن يستبين الحمل وتُثقَل، ويتم الجنين لشهوره.
- أحوال المرأة أثناء الولادة.
- أحوال الجنين أثناء الولادة.

والعنوان الثاني ( ما يذكر من تقلّب أحوال الإنسان)، تحدث في هذا العنوان عن تدرّج الإنسان في العمر وما يطلق على الجنين عندما يولد ثم يُصبح طفلا ثم شَدْخًا وهكذا إلى أن يُصبح صبيّا يافِعًا ثم شابًّا، ويتدرّج في النّمو إلى أن يُصبح هرمًا.

والعنوان الثالث ( هذا ما تُسمّي العرب من جماعة خلق الإنسان) تحدّث فيه عن الموضوعات الآتية:
- ذكره لأسماء جماعة خلق الإنسان كالشّخص والطَّلَلْ والسمامة.
- تحدث عن شكل الإنسان وجسمه، وعِظم جُثّتِه، وقمّة رأسه.
- تحدث عن صفات الرّجال كالطول والقصر، والخفة والثّقل والضعف والغلظ والضخامة والجمال والقبح والفصاحة ورحابة الصدر..

هكذا نستطيع القول إن الخوف على القرآن الكريم وعلى اللّغة العربية جعل علماء العرب يجتهدون ويبذلون كلّ ما بوسعهم لحفظ اللّسان العربي من استفحال اللّحن، وحفظ اللّغة عن طريق وضع أسس وقواعد لها، من خلال المؤلّفات التي ترتبط بتاريخ العرب وتُعَدُّ مصدر قوة وخصوصية العرب، وبعد الرّسائل اللّغوية التي مررنا عليها – لا من أجل إحصائها جميعا وإنما التّركيز فقط على أهم الرسائل لنثبت ونؤكد البعد التاريخي للتصنيف الموضوعي، وكيف أنّ العرب اهتمُوا بجانب الموضوعات والمعاني اهتمامًا بالغًا – نستطيع القول إن تلك الرّسائل كانت اللّبنة الأساسية لظهور معاجم الموضوعات، فقد استفادت معاجم هذه المرحلة من الرسائل القديمة كثيرا ، يتبيّن لنا أنّ الاهتمام باللّغة وبخاصّةِ جانب المعاني والسّياقات لم يقتصر على العرب لوحدهم، وإنما شغل كل الأمم، فاهتمام العرب منذ القديم بالمعاني يوضّح قيمة البعد الذي تلعبه السّياقات، فالألفاظ حين تكون بعيدة عن سياقها لا تقوى على توصيل الرّسالة باعتبار اللّغة أداة لتحقيق التّواصل بين النّاس، واللّغة لا تتمكّن من تحقيق هدفها بعيدا عن سياقها، ولم يتوقف الاهتمام بالمعنى بل أسال حِبْرَ كثِيرٍ من العلماء واللّغويين، خاصّة في عصرنا من نظريات دلالية غربية.

التي تسمى معاجم الموضوع الواحد، وقد اضطلع بهذا النوع من التأليف جماعة من اللغويين عاشوا في القرن الثاني للهجرة، أي أنهم عاصروا الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب العين، وأشهر من ألف في هذا النوع : أبو عبيدة معمر بن المثنى صاحب، " ما تلحن فيه العامة، الإنسان، الزرع، الشوارد، معاني القرآن، غريب الحديث" .

و أبو زيد الأنصاري صاحب " النوادر، والمطر، والمياه، وخلق الإنسان والشجر و غريب الأسماء"، الأصمعي صاحب الكتابات في " غريب الحديث، والإبل، والأضداد والنحل و الإنسان والمترادفات، والنبات والخيل"، أبو عبيد القاسم بن سلاّم صاحب" الغريب في القرآن والغريب المصنف، وغريب الحديث والأنساب".

وقد جمع هؤلاء أسماء وصفات كل إنسان أو حيوان أو حشرة أو نبات أو بئر أو مطر أو سلاح أو درع، محاولين توضيح معاني المفردات الخاصة بكل مجال على حِدة، أو نقول إنّهم اقتصروا المفردات الصعبة أو ( الغريب) وذلك بالشرح والتفسير.(عبد الله، 1991، ص 57)

فنرى أنّ أبا عبيدة كتب عن الخيل و أبو زيد عن المطر والأصمعي عن خلق الإنسان، والخيل، والنبات والشجر والنخل والكرم والوحوش، وأبو عبيدة يكتب عن النعم والبهائم والوحش والسباع والطير وحشرات الأرض.

وجاء في تعريفها أنها " معجمات جامعة لمادة اللغة، مرتبة بحسب الموضوعات، حيث تحصي المفردات الموضوعة لمختلف المعاني بعد ترتيبها بطريقة خاصة وتحت كل معنى منها تندرج الألفاظ التي تستعمل للتعبير عن هذا المعنى " (الرديني، 2006 ص 138)

إذا معجمات المعاني لا تفيد العثور على كلمة ومحاولة شرحها ولكنها تفيد من يدور في ذهنه معنى من المعاني أو يفكر في موضوع ما ويريد أن يجمع الألفاظ المتعلقة بذلك الموضوع أو ذلك المعنى، فهي ترتبط بسياق معيّن وحيّز من الألفاظ التي تنتمي إلى معنى واحد.

والجدير بالذّكر أنّ الباحثين لم يقفوا عند هذا النوع من المعاجم وقفة متمعنة ولم يعطوها حقها الكامل، حيث أنّ ما شغلهم أكثر هو المعجم العربي بالكامل، وبالمعنى الشامل لكلمة معجم، لذا فإنّهم دائما يركزون على الخليل بن أحمد الفراهيدي ومعجمه " العين "، وهذا الاهتمام شغلهم عن مؤلفات متزامنة مع عين الخليل.(ينظر: عبد الله، 1991، ص 60)

وهذا النوع من المعجمات يفيد المترجمين والكتّاب و الشعراء والناشئين لأنه يمدهم بالألفاظ المناسبة لمعنى من المعاني يجول في خواطرهم، ولكنهم يقفون حائرين لا يدركون كيف يعبرون عنه بدقة ولا يجدون ما يقابله من الألفاظ، وهكذا نرى أن فكرة المعجمات خطرت لأصحاب هذه الطبقة وكانت بدايتها في شكل معجمات متوسطة الحجم ومرتبة حسب المعاني، وشابهت إلى حد كبير الرسائل اللغوية التي ظهرت قبل هذه الحقبة، فالتأثر بها كان جليا وواضحا، ونرى أنّهم كانوا يعودون إليها ويكونون منها معجما، ولم يخطر لأحد أن يرتب تلك الألفاظ التي اختارها وجمعها ترتيبا هجائيا.(ينظر، أنيس، 1984 ص 230)

" فمعجم المعاني لا يقوم على الألفاظ الهجائية، وإنّما يسعى إلى تصنيف مفردات اللّغة في مجموعات أو زمر، أو أبواب كلية بحسب معانيها المتشابهة ومدلولاتها المتقاربة" (الرديني، 2006 ص 139)

وبداية هذا النوع تعود إلى القرن الثاني الهجري، وكانت بداياته في شكل رسائل صغيرة وكتب أو أبواب من كتب تشمل ألفاظا تدور في فلك أو حلقة واحدة، كما فعل أبو زيد الأنصاري في كتاب المطر، والأصمعي، و أبو عبيد ..إلخ ثم تطور التأليف في هذا الموضوع من المعجمات، بحيث أصبح المعجم يشتمل على أكثر من موضوع.

ومن أهم الكتب التي وصلت إلينا في هذه المرحلة:

**( الغريب المصنف)** لأبي عبيد القاسم بن سلاّم، **( كتاب الألفاظ)** لابن السكيت، **( الألفاظ الكتابية)** للهمذاني، **( متخيّر الألفاظ)** لابن فارس، **( التلخيص في معرفة أسماء الأشياء)** لأبي هلال العسكري، **( مبادئ اللغة )** للإسكافي، **( فقه اللغة )** للثعالبي، **( المخصص)** لابن سيدة. (الرديني، 2006، ص139)

### 3- التأليف المعجمي في ضوء الدرس اللساني الغربي:

تعد من أقدم النظريات في تحليل عناصر المعنى اللغوي، وقد كانت بداياتها عبارة عن إشارات وتلميحات تتصل ببعض استعمالات مصطلح حقل، أو حول استخدام مفهوم الحقل اللغوي، أو الذي عرض لأفكار تتصل بالحقل "عرفت المجالات اللغوية عند علماء اللغة أنها تصنيف للألفاظ المستعملة في نص من النصوص أو لغة من اللغات، ترتبط فيما بينها برباط دلالي معين، والحقل الدلالي أو المعجمي هو مجموعة متكاملة من الكلمات ترتبط دلالاتها بمجال يعبر مجموعها عنه، وعلاقة هذه النظرية بالمعنى أن معرفة الحقل الذي تنتمي إليه الكلمة يساعد في تعريف معناها، كما أن موقع الكلمة بين أخواتها في الحقل يعني درجة من تحرير معناها في الحقول المقابلة لذلك الترتيب".(زرال، 2008،ص190)

و يقصد بالحقل الدّلالي مجموعة من الكلمات المتقاربة في معانيها، يجمعها صنف عام مشترك بينها، وتُعنى هذه النظرية بإدماج الوحدات المعجمية المشتركة في مكوناتها الدلالية في حقل دلالي واحد وذلك نحو: أخضر، أحمر، أزرق، أسود فكلها يشترك في حقل الألوان ( ينظر: علي، 2004، ص 33)

"وهو مصطلح لغوي يعني وجود بعض الكلمات التي يمكن أن ترتبط معًا في معنى عام يجمعها، بحيث يُمكن أن تصنّف كلّ كلمات اللغة أو أكثرها في مجموعات ينتمي كل منها إلى حقل دلالي معين، ويُحدد كل منها عناصر الآخر كما تتحدّد هذه العناصر عن طريق بيان مركزها في حقولها الدلالية"(عبد العليم، 2006، ص 11) وربما نجد معظم الكلمات في اللغة العربية تدخل تحت مصطلح ( الحقول الدلالية) مثل الكلمات الدالة على النباتات والطيور والأطعمة والحيوانات، وقد بدأ تطبيق فكرة الحقول الدلالية على أيدي علماء اللغة الغربيين في العشرينيات في القرن العشرين، في ألمانيا وسويسرا، من أتباع "همبولدت" ومن رواد " تْرايَرْ" (Trier) و"إسبن" (Ispen) و"جولس" (Jolles) و"بروتسج" (Prozig)، (عبد العليم، 2007، ص 13)

واستعمل تجنر، Tegner ' مصطلح حقل في مقالة له بعنوان: 'تقديم أفكار الحقل اللغوي' في عام1844م. واعتبر 'هومبلدت' Humboldt'، الجد الروحي الأعلى لهذه النظرية،وكان هو و'هوردر' Herder من الرواد في ألمانيا، وقد دعا هومبلدت إلى دراسة اللغة دراسة عقلية، واعتمد على أن العقل لا يدرك شيئا إلا إذا قارنه بغيره، ففكرة ربط اللغة بالعقل ترجع إليه، أما شيوع المصطلح بوصفه مفهوما لغويا فإنه يعود في البداية إلى "هوسرل" و " سوسير" اللذان اعتقدا أن كل كلمة تحاط بشبكة من الخواطر والأفكار، التي ترتبط من خلالها بالكلمات الأخرى، فهذه التداعيات ترتبط بالمفهوم والصيغة حيث تمتد إلى المعنى وإلى الشكل، ففكرة سوسير عن القيمة اللغوية تتصل بنظرية الحقل الدلالي، وتزداد قيمة بعض الكلمات من خلال اتصالها بالأخريات، كما أن قيمة الكلمة تختلف في لغة ما عنها في لغة أخرى.

وأشار 'إبسن' ipsen إلى فكرة الحقل الدلالي قائلا: وبالإضافة إلى ذلك فإن هناك كلمات خاصة لا تقف وحيدة في اللغة، ولكنها ترتبط بمجموعة دلالية، ولا يعني ذلك أنها مجموعة اشتقاقية.

وهكذا توالت الدراسات والأبحاث وكلها كانت إشارات لم تتبلور إلا عند 'ترايرTrier الذي اعتبر مؤسس هذه النظرية، وقد استخدم ترايرمصطلح الحقل اللغوي أو مصطلح حقل الكلمة، فحقله يرمز إلى شيئ بين الكلمة المفردة ومخزون الكلمة العام.

'فترايرركز على المفهوم من خلال الكلمات وكان يختار اللغة أولا كأن تكون مثلا إنجليزية أو ألمانية أو فرنسية، ثم يربط بين الكلمات و 'هومبلدت' لم يحدد اللغة، أما سوسير وترايرفقد حدداها.

وقد كان انشغال ترايربالثروة اللفظية للغة الألمانية وتتبع التغييرات التي تطرأ عليها بمرور الزمن سببا في اهتمامه بالحقل، وقد تأثر ترايربهومبلدت وسوسير وفايسجرير الذي انشغل نظريا وعلميا ببناء حقول الكلمات، وميز في ذلك بين الطبقات أو القطاعات في الحقل الواحد، ويكون قد تجاوز بذلك ترايرر، ولم تقتصر دراسات نظرية الحقل الدلالي على الرواد فقط، بل هناك علماء آخرون أسهموا في تطور هذه النظرية، وهم أصحاب القواميس الذين نظموا المادة اللغوية حسب الموضوعات

.(ينظر: جاد الرب، 1992، ص 71 /224)

ونجد أن 'لايبنز'Leibniz من أوائل الذين اقترحوا القيام بعمل قاموس يؤسس منهجه حسب أنواع الأشياء أو الموضوعات.

أما أول تحقيق علمي لقاموس مرتب حسب الموضوعات الدلالية فقد وجد عند 'روجت rojet' عام 1852 وعد هذا القاموس مثلا للقواميس الألمانية والفرنسية والإسبانية، إلى أن وصلت الدراسات إلى عمل أحدث معجم يطبق نظرية الحقول الدلالية

وهو معجم ( Greek New testament ) .

وهكذا توالت الدراسات الدلالية وكلها تخدم نظرية الحقول الدلالية، قام بها علماء ألمان وسويسريون وفرنسيون وإسبان ودانمركيون وأمريكان وإنجليز، كل منهم في مجاله ومن مفهومه ومنظوره، وقد أسهمت هذه الدراسات في تطور نظرية الحقول الدلالية.

ويعود الفضل إلى الألماني "ترايرر" في بلورة نظرية الحقول الدلالية وإخراجها نظرية متكاملة، وقد قدمت هذه النظرية عددا من المقولات أهمها :

- أنّ المعجم مبني من مجموعات من المفاهيم الوثيقة الترابط تمثلها مجموعات من المفردات، وهذه المجموعات المفهومية تندرج من الأعمّ إلى الأخصّ ومعاني الكلمات داخل كلّ حقل تحدد وتعين بناءً على ما يشاركها من مفردات أخرى في الحقل.

- كل حقل دلالي مكون من عنصرين هما :

- الأوّل مفهومي، والثاني معجمي .

- والحقل الدلالي يتكون من مجموعة من المعاني أو الكلمات المتقاربة، التي تتميز بوجود عناصر أو ملامح دلالية مشتركة، وبذلك تكتسب الكلمة معناها في علاقتها بالكلمات الأخرى، فلا يفهم معاني مفردات التقديرات : ممتاز، جيد جدا، جيّد، مقبول إلا بمقارنتها ببعضها.

- تتكون الحقول الدلالية من كلمات أساسية ذات مفاهيم مركزية، وأخرى هامشية، وخصائص الكلمة الأساسية أن معناها غير مأخوذ عن معنى غيرها، فألفاظ الألوان في اللغة العربية يوضح ذلك، فإذا أخذنا اللون: الأبيض، الأسود، الأحمر هي ألوان أساسية غير مأخوذة من أسماء أخرى بينما الرمادي، البرتقالي، البني غير أساسية لأنها مأخوذة من غيرها وهي : الرماد والبرتقال والبن.

- يختلف حجم الحقول الدلالية وحيزها المكاني باختلاف مجالات واهتمامات الإنسان، ويُعدُّ مجال الكائنات والأشياء من أكبر المجالات ويليه مجال الأحداث ويتبعه المجردات، وفي آخر المراتب ما يتصل ويرتبط بالعلاقات، ويختلف حجم المادة المعجمية في الحقل باختلاف الثقافة والعصر، فمثلا حقل الجمل في العربية الفصحى الكلاسيكية يُعدُّ ضخمٌ جدّا، بينما في اليابانية أو لغة الإسكيمو لا يشتمل إلا على كلمة واحدة، بينما يحدث العكس تمامًا إذا أخذنا لفظة "جليد وثلج" ففي لغة الإسكيمو تعتبر من أكثر الحقول المعجمية ثراء لفظيًا وفي العربية حجم اللّفظة يعدُّ أصغر بكثير من لفظة الإسكيمو.(ينظر: الخماش، 1428، ص 65/64)

" وقد أعدت معاجم عديدة وفق هذه النظرية وأشهر الحقول المتناولة ( القرابة، الأمراض، الطبخ، قطع الأثاث، ألفاظ الأصوات ..) وأشهر معجم حديث هو معجم Roget ثم Greek new testament، ودراسة معنى الكلمة، وفق هذه النظرية تكون من خلال الكلمات المتصلة بها دلاليا، ومعناها هو محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى داخل الحقل على مذهب "جون ليونز" ويشار إلى أن هذه الفكرة عرض إليها دي سوسير في محاضراته، حينما تحدث عن علاقات التداعي بين ( ارتاب، خشي، خاف ..)، كما ذهب إلى أن( الشمس) مثلا لا تفهم إلا داخل محيطها "(زرال2008، ص 190)

، وطبقا لذلك فإنه لا يمكن البحث في هذه النظرية عن طريق تجريد الكلمة كوحدة معجمية (Lexime) بل يجب أن تعامل الكلمة بوصفها جزء من السياق situation الذي ترد فيه،بحيث يتحدد معناها ضمن بقية عناصر الجملة التي هي جزء منه.

ولا يمكن إغفال التركيب النحوي الذي يحدد معنى الكلمة، عن طريق بيان موقعها الوظيفي الذي تشغله، سواء كان حيز المفعولية، أم الفاعلية أم الخبرية أم الإضافة ...الخ.

**وتنقسم الحقول الدلالية إلى ثلاثة أقسام هي :**

**1- الحقول المحسوسة المتصلة:** مثل ألفاظ الألوان

**2- الحقول المحسوسة ذات العناصر المنفصلة:** مثل ألفاظ القرابة

**3- الحقول التجريدية:** مثل ألفاظ الفكر والثقافة

- والحقول التجريدية أهم الأنواع في نظرية الحقول الدلالية ذلك لأن معظم كلمات اللغة تجريدية، وعلى ضوء هذه الأقسام يمكن أن نقسم ألفاظ اللغة إلى ثلاثة أقسام، فهناك كلمات محسوسة الدلالات متّصلة، وهناك كلمات محسوسة الدلالات منفصلة العناصر، وهناك مجردة، فالكلمات المحسوسة المتصلة مثل: كلمات ( أحمر، أخضر، أصفر) والكلمات المحسوسة منفصلة العناصر مثل: (عم، خال، أب، أم، جد، جدة) والكلمات المجردة مثل : ( ذكاء، حدس، خيال، خير، إيمان)، ويرى ترايز أن الحقول الدلالية بأنواعها السابقة غير منفصلة، بل هي مرتبطة معًا في شكل حقول أكبر، وهكذا حتى تنحصر الكلمات كلّها (عبد العليم، 2007، ص 16)

أما أحمد مختار عمر فقد عقب على هذا الرأي بأنه "من الممكن – تبعا لهذا- أن نخصص حقلا للحرف والمهن وحقلا للرياضة، وحقلا للتعليم، ثم نجمع كل هذه الحقول تحت حقل واحد يشملها جميعا، هو النشاطات الإنسانية " (عمر، 1971ص 107)

إذا فتصنيف المعارف ونظرية الحقول الدلالية نَبَّهَتْ علماء اللغة إلى وضع معاجم مرتبة حسب المعاني والمفاهيم الدلالية، وألفوا رسائلهم اللغوية التي جمعت الحقول الدلالية المتصلة بموضوع ما.

هكذا ارتبطت نظريات الدلالة بالمعنى وتشرح طبيعته وتفسره وتصنفه إلى أنواع مختلفة تبعا لمعايير متنوعة.

وفي الختام يمكن القول إن مراحل التصنيف المعجمي في تراثنا العربي قد مر بالعديد من المراحل، عرف من خلالها أنواعا مختلفة من التبويب والتأليف والتنسيق، فالبحث المعجمي لم يكن مجرد جمع الكلمات مرتبة بطرائق اعتباطية، بل نلمس من خلال التأريخ للتصنيف المعجمي أنظمة لغوية محكمة أثبتها الدرس اللساني الحديث في شقه التطبيقي، فاحتل بذلك هذا الصنف من البحث مكانة رائدة أخذت بعدا حضاريا وإنسانيا.

وهذا الإطار النظري والتطبيقي في التصنيف في تراثنا العربي، أسس المعجمية اللغوية عند الدرس اللساني الحديث، حيث شكلت مداخل هامة للدرس اللساني التطبيقي في مستواه الدلالي.

فنستطيع القول إن الجهود العربية في الصناعة المعجمية تمثل أهم المرتكزات الأساسية التي قامت عليها، حيث وفرت للتراث العربي الحديث مجالا خصبا.

هكذا يمكن القول إن العرب طرحوا دراسات معجمية حاولت تقديم نظرية حديثة في مجال البحث اللساني التطبيقي، سواء على مستوى علم المعاجم أو علم صناعة المعاجم، خاصة إذا تحققنا من أن التصنيف المعجمي كانت بواعثه كتاب الله الذي كان له الأثر في تنظيم النظرية المعجمية.

**قائمة المراجع:**

1/ أنيس، إبراهيم، (1984)، دلالة الألفاظ، مصر، مكتبة الأنجلو مصرية.

2/ إقبال، أحمد الشرقاوي (1993)، معجم المعاجم، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

3/ الرديني، محمد علي (2006)، المعجمات العربية، عين مليلة، الجزائر، دار الهدى، عين مليلة.

4/ زرال، صلاح الدين، (2008)، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، الجزائر، منشورات الاختلاف .

5/ عبد العليم، أحمد عارف حجازي ، (2007)، الحقول الدلالية في القراءات القرآنية الصحيحة، القاهرة، مكتبة الآداب.

6/ عبد الله، يسرى عبد الغني عبد الله، (1991)، معجم المعاجم العربية، ، بيروت، دار الجيل.

7/ أبو عبيدة، ( 1358 ه)، كتاب الخيل، حيدر آباد الهند، مطبعة دائرة المعارف العثمانية.

8/ علي، محمد محمد يونس، (2004)، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة.

9/ عمر، أحمد مختار ، (1971)، البحث اللغوي عند العرب، مصر، مطابع سجل العرب.

10/ ابن النديم، (1997)، الفهرست، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر.

11/ نصار، حسين، (1988)، المعجم العربي، مصر، دار مصر للطباعة.

**المجلات:**

1/ جاد الرب، محمود جاد الرب، (1992)، نظرية الحقول الدلالية والمعاجم المعنوية عند العرب، مجلة مجمع اللغة العربية.

2/ سالم سليمان الخماش، المعجم وعلم الدلالة، ط1، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، 1428ه